# النظـام

obeikan.com

obeikan.com

قامت ثورة ٢٥ يناير لإسقاط النظام، وفى اعتقاد الثوار أن مبارك هو النظام، وبسقوطه يسقط النظام.

عفوًا أبنائى وبناتى، إخوانى وأخواتى، هذا غير صحيح.

مبارك ليس هو النظام، وبتكوينه العلمى والثقافى والذاتى أقل من أن ينشئ نظامًا، فهو ليس من أصحاب الرؤى، ولم يكن ابنًا لأى أيديلوجية، ولم يحدث أن كان له انتماء لأى من التوجهات المطروحة على الساحة، أو أى ساحة، فهو فى حقيقته لم يكن إلا جنديًا مجتهدًا يحفظ واجباته عن ظهر قلب، وأقصى طموحاته أن يسمع من قائده كلمة تنم عن رضائه عن أدائه، وبالذات من رئيسه المباشر وليس من القائد العام أو الشعب أو الصحافة، ومثل هذا النوع من الأشخاص غالبًا ما يفتقر للخيال، وطموحاته لا تتجاوز إطار عمله، ولا يملك أى قدرات إبداعية تتجاوز تخصصه، وبسبب واقعيته الطاغية كان دائم السخرية من المثقفين، والموهوبين، والخياليين، وأصحاب الرؤى المستقبلية.

ولهذا يمكن اعتباره ضحية للنظام رغم ما فى هذا القول من شطط ربما يوصف بالمفرط.

ودعونا نستعرض سيرته الذاتية، لعلنا نجد فيها ما يؤيد أو ينفى هذا الحكم.

من أسرة مصرية رقيقة الحال ودون المتوسطة، دخل الكلية الجوية، نجح، تخرج، عمل مدرسًا بالكلية نفسها، تزوج من أسرة تفوق مرتبته الإجتماعية، وهذا فى حد ذاته شهادة اجتماعية على تميزه، ارتقى إلى أعلى المراتب العسكرية، قام بواجبه فى حرب ٧٣ على الوجه الأكمل بمواصفات العصر، إختاره رئيسه ليكن نائبًا له، سواء رضينا عن هذا الاختيار أم لا فهو اختيار من بين بدائل المفترض أنها متقاربة من حيث مستواها، وهذا يؤكد أنه لم يكن أقلهم كفاءة أو وطنية، لا شائبة تشوب سمعته خلال الفترة الممتدة من وقت تخرجه من الكُتَّاب ورغيف الخبز وقرص الطعمية الموضوع فى حقيبة من القماش معلقة على كتفه، إلى أن أصبح على رأس النظام الحاكم، وعلى القمة منه رئيسًا للجمهورية.

بعد عدة سنوات من رئاسته للجمهورية بدأ التغير فى خصائصه، فى خصاله، بدأ منحنى سيرته الذاتية يهبط إلى أسفل السافلين.

لماذا؟

مسئولية من؟

هل هى الجينات الوراثية؟

بالطبع لا وإلا لظهرت فى مراحل مبكرة من حياته، ولمثلت معوقات فى رحلة صعوده الكاسح نحو القمة.

هل هى التربية غير الجيدة؟

الرجل كان عف اللسان، وعلى خلق، شهد بذلك القاصى والدانى

هل هى المدارس أو الكلية الجوية التى درس بها؟

غير صحيح، فالواضح أنه شُحِنَ بالقدر اللازم من التوجيه المعنوى الجيد تمثل فى أدائه المتميز فى القوات الجوية، كمحارب فى الميدان، والمحافظة على أرض مصر كرئيس.

إذًا ما الحكاية؟

دعونا نفحص السِّيَر الذاتية لغيره ممن كانوا مثله جزءًا من النظام

ـ الدكتور أحمد فتحى سرور:

أستاذ جامعى، من أبرز فقهاء القانون فى مصر، وتخرج على يديه عشرات بل ومئات من القضاة والمستشارين والمحامين، الكل يشهد له بالخلق القويم، بما فى ذلك زوجتى التى درست القانون الجنائى على يديه وشهدت بحب الطلاب له والتفافهم حوله، كما كان له محاولة فى تأليف رواية وطنية.

فما الذى حدث له وجعله يهبط إلى أسفل السافلين هو الآخر؟

ـ الدكتور أحمد نظيف، إنسان بالغ الرقة والأدب فضلا عن كونه دكتور مهندس وأستاذ جامعى

من الذى أوصله لما هو فيه؟

الأمثلة كثيرة وكلهم شخصيات لها تاريخ مشرف قبل أن يلحقوا بالنظام ويصبحوا جزءًا منه، وأداة من أدواته، وخدمًا من خدامه.

حتى جمال مبارك الشاب المتعلم ألراغب فى أن يلعب دورًا سياسيًا، وأن يصبح رئيسًا لجمهورية بلده.

أليست رغبة مشروعة؟

ألم يكن من الممكن السعى لتحقيقها من خلال تكوين حزب سياسى جديد أو الانضمام لحزب قائم غير الحزب الذى يرأسه والده؟

فما الذى منعه من سلوك هذا الطريق؟

إنه النظام

فهو ابن لرئيس الجمهورية الذى على قمة هذا النظام فكيف يتنازل عن ميزة كتلك ويلتحق بحزب كحزب الوفد أو حتى ينشئ حزبًا جديدًا ويبدأ السلم من أوله ليصعد الى القمة بينما هو بالفعل عليها؟

لماذا لا يحاكى النموذج السورى الذى أتى ببشار الأسد رئيسًا للجمهورية السورية خلفًا لوالده، مما أطاح بواحد من أهم مقومات النظام

الجمهورى بل يمكننا القول أن النظام الجمهورى لم يظهر للوجود إلا لكى يصحح عيبًا خَلقيًا فى النظام الملكى وهو التوريث.

ما حدث فى سوريا من عدوان على الجمهورية مثَّل إغراءا لسوزان مبارك عجز الرئيس مبارك عن مقاومته خاصة أن المنتفعين وجدوا فى هذا الاتجاه فرصة نادرة لابتذاذ الرئيس فزينوه له.

هنا بدأت عملية المحاكاة للنموذج السورى، فإذا كانت الطائفة العَلَوية وهى مصنفة من الأقليات، هى القاعدة الصلبة التى تأسست عليها ولاية بشار الأسد خلفًا لأبيه، فعلينا تصنيع أقلية مماثلة تربطها المصالح بدلا من العرق أو المذهب " فكانت لجنة السياسات ".

شاعت هذه الرغبة الحمقاء فى التوريث بين الناس، ومن عجب أنها لعبت دورًا هامًا فى تذكير العامة بأن لهم بلدًا يتكالب عليه الرئيس وزوجته وابنه وأتباعهما من المنتفعين

ألا يعنى هذا أن له قيمة؟

فى حقيقة الأمر قام هذا الثالوث وأتباعه دون قصد بتبسيط المسألة السياسية، ودفعها بعنف إلى أذهان العامة، مما جعلهم يتغامزون كونهم عارفون ببواطن الأمور، أو بما هو كامن خلف السطور، والعامة فى بلدنا لمن لا يعلم قوة حقيقية بالغة الخطورة عندما تتحرك، أو عندما يوجد من ينجح فى تحريكها.

أذكر أن القذافى رئيس ليبيا الأخرق وضع فى مطار طرابلس صورة بالحجم الطبيعى لكارتر رئيس أمريكا وهو يقبل السيدة جيهان السادات قبلة بروتوكوليه، وذلك لاغاظة العمال المصريين عند مرورهم بصالة المطار، وبالطبع تحركت آلية الغمز والحسرة على الإسلام والمسلمين الذين ضيعهم محمد أنور السادات.

مع التوريث تحركت آلية الغمز، وتكاثرت وتحولت إلى موجات كتلك التى نراها فى حقول الأرز ساعة العصارى، ثم تحول الغمز إلى رفض جماعى سكن فى أغوار النفوس لدى البسطاء، إلى أن جاء الوقت المناسب فانضموا بتلقائية لثورة ٢٥ يناير التى فجرها الشباب، الحالم بحياة كحياة الأوربيين، أساسها الحرية، وسيادة القانون.

فجرها شباب تساءلوا:

لماذا يتعين أن نُشحن فى مراكب متهالكة لنصل لشواطئ أوربا؟

لماذا نهاجر إلى كندا أو أمريكا أو أستراليا؟

لماذا كتب علينا أن نُقبل الأيادى لنحصل على عقد عمل بالسعودية أوغيرها، ونعمل تحت رحمة كفيل يعيد للذاكرة عهود العبودية، التى اندثرت فى كل بلاد العالم؟

لماذا لا ينهض بلدنا ويصبح مثل تلك البلاد؟

امتلأت صدورهم بالغضب، تحركوا، احتشدوا، انفجروا غير هيابين، تحدوا كل ما يملكه النظام من أدوات القمع والغدر.

من مجمل ما تقدم يتضح لنا أن رموز النظام السابق ليسوا فاسدين بطبيعتهم ولا بتربيتهم، ومع ذلك فنحن أمام أناس على أحط درجة من الفساد.

إذا فمن أفسدهم؟

إنه النظام..

فما هو هذا النظام؟

* * *

obeikan.com